

أنا وأنتِ على الطريق

عندما تختار الفتاة زوجها

صديقتي المستمعة،

على أي أساس تختارين زوجك يا سيدتي ؟ هذا في حال منحك والداك حق الاختيار؟ نعم على أي أساس؟

إسمعي اختبار هذه السيدة قالت : هذا الرجل يريد أن يقودني إلى الجنون. يطعنني في الصدر وفي الظهر. يجرحني بكلمات نابية حارقة حيناً باردة حيناً آخر. ويمضي ولا يهتم. يتجاهلني ويتناسى وجودي . ويتوقف الزمن عنده عندما يدفن نفسه بين أوراقه ويعكف على أشعاره وقصائده التي لا تنتهي. ينظمها يفكها ويعيد تشكيلها. ويتلاشى العالم من حوله . يتلاشى.

أنا التي اخترته أو بالأحرى لاحقته. سحرتني كلماته وبهرتني هالة الرومانسية التي كانت تحيط به. شاعر أستاذ. تصورت أن الحياة معه ستكون أرق وأبهى من كل ما يمكن أن أتمناه أو أتخيله. زوجة شاعر. فتح اللقب أمامي عالماً متألقاً من الأحاسيس الملتهبة. طوقت اللحم وحامل اللحم وجعلته من نصيبي. وندمت. لم أندم لأنني أحببته. بل ندمت لأنني تزوجته. رأيت الفتيات يتسابقن لمساع محاضراته وقررت أنني سأفوز به دونهن جميعاً وفعلاً فزت به.

والآن أحلم بأن أدخل عالمه وأصبح جزءاً حقيقياً من حياته. لم يعد يرضيني الدور الذي وجدت نفسي أعبه. دور الزوجة - الدمية - الخادمة. التي تطهو طعامه وتغسل ثيابه وترعى شؤون بيته وترافقه في سهراته لتلمع صورته وتحسن مظهره. لم يرضني هذا الدور يوماً.

وتتابع السيدة المعذبة الحديث عن اختبارها في اختيار زوجها فتقول بعد أن اختارت شاعراً ليكون زوجها لها مايلي:

يتباهى زوجي بأنه رجل يحترم النساء ويقدرهن. ويزعم بأنهن مخلوقات مرهفات الحس رقيقات يجب التعامل معهن بمنتهى الحرص والحذر. فأقل كلمة تجرحهن وأبسط حركة تثير أشجانهن. أين زوجتك يا سيدي من مخلوقاتك الضعيفات اللطيفات؟ هل فكرت يوماً بأنها أولى من غيرها برقنك وشاعريتك؟ لما يجمد حسك المتدفق أمامها وتتلون وتتجدد ونقيض مشاعرك وعواطفك وراءها عندما تركز إلى أوراقك ، تتاجي وتغازل أطيافاً صنعها خيالك وشكلت ملامحها كلماتك؟

ليس حسدا ما أشعر به. فرحت دائما لنجاح زوجي. أقارن كثيرا بين تألقنا معا كزوجين منسجمين أمام أنظار العالم وفشلنا الصامت المحزن أمام أنفسنا. أول ما نخطو عتبة بابنا يخبو الوهج ويرفرف الصمت بأجنحته الثقيلة على بيتنا. يرفض أن يتحدث يفضل الفرار، التجاهل. وتتملكني كبرياء حمقاء تمنعني من استجداء كلماته . كلماته ينثرها بسخاء بين صفحات دواوينه ويخل على زوجته ببضعة حروف.

أخطأت عندما اخترته وقيدته إلي بدافع المباهاة. وأخطأت عندما جاريتته وتظاهرت أمام الناس وأمامه بأن كل شيء على ما يرام. أود أن يساعدني على الخلاص من هذا العذاب. وأود أن أمد يد العون له أيضا. زوجي الحبيب أنا أصرخ فهل تسمعني؟

أنين زوجة وأي أنين هذا يا سيدتي؟ زوجة اختارت لنفسها زوجا شاعرا. ظننته سيكون شاعرا في البيت أيضا. يفيض بشعره لها وأمامها في بيتها معا. والآن هي تتعذب وتتألم لأنها صدمت بواقع الحياة معه في بيتها الزوجي. لماذا؟ لأنه لا يتكلم ولا يفوه ولا حتى بالكلمات إلا في الأماكن العامة وفي المحاضرات المخصصة له كشاعر. وتقول السيدة بأنهما يبدوان للعالم الخارجي مثلا للزوجين المنسجمين في حين أن الحقيقة هي عكس ذلك تماما.

ما هو الحل يا صديقتي؟ هل التظاهر بأن كل شيء على ما يرام هو الحل لهذين الزوجين ياترى؟

هل تُدعين بالمظاهر يا سيدتي حين يتقدم منك شاب لخطبتك؟ وهل تهتمين بشكله وإعجاب الناس به وبمركزه قبل أن تهتمي بخصائص شخصيته؟ هل تؤخذين بكلماته المعسولة الرقيقة فتختارينه زوجا لك للحال بسبب ذلك؟

أه كم من سيدة اختارت أن تتزوج بالزوج الذي خدعها بمظهره وندمت كصاحبتنا هذه صاحبة القصة التي شاركتك بها الآن. وكم من بيت خرب بسبب الاختيار المبني على مظاهر الشخصية الظاهرة للناس. بينما الحقيقة هي حقيقة مرة مخفية عن الآخرين .

سيدتي ماذا يعلمنا الإنجيل المقدس عن المظاهر الخادعة التي يظهرها الإنسان للآخرين فنقرأ أنه مثلا عندما شفى يسوع المسيح

أي عيسى بن مريم إنسانا في يوم السبت حنق عليه اليهود ومعلمو الشريعة . ووجهوا إليه الانتقاد لأنه عمل عملا يوم السبت الذي

كان مقدسا. فقال لهم يسوع المسيح: لا تحكموا حسب الظاهر بل احكموا حكما عادلا.

وفي مكان آخر نجد كيف أن الفادي المسيح نفسه يكشف النقاب عن هؤلاء اليهود المقنعين إذ يبين لهم أن داخلهم هو غير ما يظهرون به للآخرين . فيقول لهم في مرات عديدة:

أنتم الآن أيها الفريسيون تنقون خارج الكأس والقصعة وأما باطنكم فمملوء اختطافا وخبثا. يا أغبياء أليس الذي صنع الخارج صنع الداخل أيضا؟ ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم مثل القبور المختفية والذين يمشون عليها لا يعلمون. وأخيرا يحذر يسوع المسيح تلاميذه أي حواريه تابعيه من هؤلاء فيقول لهم: تحرزوا لأنفسكم من خمير الفريسيين الذي هو الرياء. فليس مكتوم لن يستعلن ولا خفي لن يعرف.

ترى هل نخدع نحن أيضا الناس يا صديقاتي؟ تماما كما ننخدع نحن بالآخرين؟ هل نؤخذ بما نراه بأب أعيننا؟ وهل نحن أيضا نستتر عيوبنا وخطايانا تحت غطاء وقناع آخر نظهر به للناس؟ سواء أزواجنا معارفنا أقربائنا أصدقائنا؟ لكن المهم أن نعرف بأن ما نخفيه عن الناس لسوف يعلن يوما ما عند الله تعالى خالقنا وصانعنا. فهل نعي هذه الحقيقة الهامة؟ وهل نطلب من الله الغفران على حياة الرياء التي نعيشها؟ يا ليت الكثيرين رجالا ونساء يسمعون تعاليم الإنجيل ويخضعون لهذه الكلمة الحية التي هي بمثابة سراج ينير طريقنا الوعر في هذه الحياة.
